على طريقة الصين

أو

طريقة أبي دلامة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

قرأت في بعض ما كتب عن الصين الحديثة وحروبها الداخلية — قبل أن تنزوها اليابان — أنه كان يحدث أن يخرج القائد من القواد الصينيين لقتال غريمه فيلتقي الجمعان ويصطف الجيشان ويبرز أحد القائدين، ويدعو خصمه فيخرج إليه ويقفان بين العسكرين يتبارزان ولكن بالحجة والمنطق، ويتصاولان ولكن على الورق والخرائط، ويتجادلان في أي الخطتين كانت خليقة أن تجيء صاحبها بالنصر، حتى يقتنع أحدهما بأن الدائرة كانت ستدور عليه لا محالة، فيعد نفسه مهزوماً، ويرتد بجيشه عن الساحة، وينصرف خصمه وقد رفع ألوية النصر

كذلك قال بعض الكتاب. وقد زعموا أيضاً أن هذا بعض ما أطمع اليابان في الصين وأوهمها أن قتالها أمر هين، وأن المنال قريب والغاية في حكم المدركة، فإذا بها تتورط في حرب لا تعرف لها منها مخرجاً ولا تتبين لها نهاية قريبة، بعد أربع سنوات طويلات دخلت في خلالها مئات من المدائن، واحتلت رقعة أوسع من نصف القارة الأوربية ومازالت الحرب — إذا اعتبرنا قوة المقاومة — كأنها في بدايتها

وليس من همي أن أقول شيئاً في الصين، وإنما سقت هذا الخبر لأني ذكرت به مشبهاً له من أخبار أبي دلامة الشاعر الماجن الظريف فقد حكوا عنه — وحكى هو عن نفسه فيما يروون عنه — أن الخليفة — المنصور أو المهدي — غضب عليه لاعتكافه على الخمر، فأمر به فخرج في بعث حرب مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الشراة. قال أبو دلامة: «فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه» فضحك وقال: «والله لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك» ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليّ ودعا بغيرهما، فلما حصل ذلك في يدي زالت عني حلاوة الطمع فقلت له: «أيها الأمير هذا مقام العائذ بك» فقال: «دع عنك هذا» وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة فقال: «اخرج إليه يا أبا دلامة» فقلت: «أنشدك الله أيها الأمير في دمي» قال: «والله لتخرجن» قلت: «أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعت مني جارحة من الجوع، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج» فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف فلما رآني الشاري أقبل نحوي وعيناه تتقدان، فقلت له: «على رسلك يا هذا كما أنت» فوقف، فقلت: «أتقتل من لا يقاتلك...» قال: «لا» قلت: «أتقتل رجلاً على دينك» قال: «لا» قلت: «أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتل إلى دينك» قال: «فاذهب عني إلى لعنة الله» قلت: «لا أفعل أو تسمع مني» قال: «قل». قلت: «هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة، أو تعرفني بحال تحفظك عليّ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً» قال: «لا والله» قلت: «ولا أنا أعرف والله لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك وأتحمل مذهبك وأريد السوء لمن أراده لك» قال: «يا هذا جزاك الله خيراً

فانصرف» قلت: «إن معي زاداً أحب أن آكله معك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل المسكر هوانهم علينا» قال: «أفعل» فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا وجعلنا أرجلنا على معارفها والناس يضحكون، فلما استوفينا ودعني، فقلت له: «إن هذا الجاهل - يعني روح بن حاتم - إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل» قال: «قد فعلت» ثم انصرف وانصرفت، فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك. فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى المبارزة، فقال لي: اخرج، فقلت له:

إني أعوذ بروح أن يقدمني ... إلى النزال فتخزى بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرق بين الروح والجسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت من أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها ... لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك وأعفاني.

وهذا الذي كلم به أبو دلامة قرنه فكفاه شره، احتجاج قوي لترك الحرب، ولو كان الأمر إلى الجنود المسوقة وخوطبت بمثله لكان الأرجح في الرأي والأغلب في الاحتمال أن تلقى السلاح وتنفض يدها من كفاح لا تعرف باعثاً عليه أو موجباً له، ولكن الأمر للقادة والرؤساء وهؤلاء لا يسألون إلا عما يطمعون فيه ويسعون له، ولا يبالون من رضي ممن سخط، ومن بقي ممن هلك، إذا هم أدركوا بغيتهم ونالوا وطرهم

وقد خاطب الألمان جنود فرنسا بمثل كلام أبي دلامة — في هذه الحرب فكانوا في الشهور الأولى — شهور الركود والتربص — كل ليلة ينادونهم من خط سجفريد «أن لماذا تحاربوننا يا معاشر الفرنسيين ولا عداء بيننا وبينكم ولا مطمع لنا في مستعمراتكم، وقد سمعتم «الفوهرر» يقول في خطبته إن بقاء خط سجفريد اعتراف من ألمانيا بأنها تمد الحدود بينها وبينكم نهائية، ولولا ذلك ما جشمت نفسها مشقة البناء ونفقاته، إنما غرضنا وغرضكم الإنجليز، وقد زجوا بكم إلى الحرب ليقاتلونا بكم» الخ الخ وقد فعل هذا الكلام فعله في نفوس الفرنسيين وظهر أثره في معركة فرنسا

وأعود إلى صاحبنا أبي دلامة فأقول: إن الرصافي — شيخ شعراء العراق في هذا الزمان — أسبغ الله عليه برد العافية صنع شعراً في خبر أبي دلامة مطلعه «قضت المطامع أن نطيل جدالا» قال فيه:

أمن السياسة أن يقتل بعضنا ... بعضاً ليدرك غيرنا الآمالا
تفنى الجيوش ولا ضغائن بينها ... سبقت ولا ترة ولا أذحالا

واستطرد إلى قصة أبي دلامة ثم ختم القصيدة بقوله:

إن الدهور - وهن أمهر سابك -
ستردّ أضداد الورى أشكالا
حتى كأني بالطباع تبدلت ... غير الطباع وزلزلت زلزالا
وكأنني بيني الملاحم أصبحوا ... لأبي دلامة كلهم أشكالا

وياعصى ولعل، وسمع الله منك يا صديقنا، ولكن هيهات ... هيهات! والسلام عليك إذا لم يكن على الأرض سلام

ابراهيم عبد القادر المازني

إعلان

تعلن مصلحة الأموال المقررة فقد قسائم الأوراد البيضاء من رقم ٥٢١٨٠١ إلى ٥٢١٩٠٠ والقسيمة رقم ٥٢١٥٤٠ من الدفتر رقم ٨٢ (أموال مقررة)

وقد اعتبرت المصلحة هذه القسائم لاغية. فكل من حاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية. ٧٧٩٢